



AL-MAJALIS : Jurnal Dirasat Islamiyah

Volume 9 Nomor 2 Mei 2022

Email Jurnal : almajalis.ejurnal@gmail.com

Website Jurnal : ejournal.stdiis.ac.id



المنهج العلمي على ضوء مذهب السلف

(دراسة تحليلية لكتاب "فضل علم السلف على الخلف" لابن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥هـ))

Muhammad Nur Ihsan

Program Studi Ilmu Hadits

Sekolah Tinggi Dirasat Islamiyah Imam Syafi'i Jember

mnurihsan04@gmail.com

Fida'

I'dad Lughawi

Sekolah Tinggi Dirasat Islamiyah Imam Syafi'i Jember

fidasaad.44@gmail.com

ملخص البحث

هذا البحث يتكلم عن المنهج العلمي على ضوء مذهب السلف من خلال دراسة تحليلية لمحتوى كتاب "فضل علم السلف على الخلف" لابن رجب المتوفى (٧٩٥هـ)، وموضوع البحث ينحصر في بيان معالم رئيسية وأصول واضحة لمنهج السلف في العلم، والمقصود بالسلف هم القرون الثلاثة المفضلة. ويعد هذا البحث من البحوث المكتبية القائمة على المنهج الكيفي الاستقرائي التحليلي. وتتخلص معالم المنهج العلمي السلفي في الأمور التالية: العلم ينقسم إلى النافع وغير النافع ولكل منهما علامات يعرف بها، ومصدر العلم النافع هو الكتاب والسنة والمأثور عن الصحابة ومن بعدهم من أئمة الدين، وحقيقة العلم النافع هو ضبط نصوص الوحي وما أثر عن السلف الصالح والتفقه فيها، وأصل العلم هو العلم بالله وأحكامه، والعالم الرباني الذي يتصف بخشية الله، والمنهج العلمي السلفي مبني على العلم والعمل، وضبط النص وفهمه، وتعظيم السلف الصالح والاعتداء بهم، والمعيار الصحيح لمعرفة العالم هو موافقة الحق وليس بكثرة الكلام، ومن أنفع الطرق وأعظم الأسباب لتحصيل العلم النافع: الإخلاص، والاستعانة بالله، والاجتهاد في ضبط نصوص الوحي وفهمها، وعلم الجرح والتعديل والعلل، ومن العلوم ما يطلب بقدر الحاجة ويذم التوسع فيه، كعلم الأنساب والحساب والتسيير والعربية، وضرورة الحذر من العلوم المحدثه بعد السلف الصالح، كعلم الكلام المأخوذ من الفلسفة وما يتفرع عنه من المسائل المغلوطة والاعتقادات الباطلة.

مفاتيح الكلمات: المنهج العلمي، مذهب السلف، العلم النافع، العلم غير النافع.

أ. المقدمة

كثير كلام الناس في الآونة الأخيرة عن المنهج السلفي، في شتى المجالات: في العلم والعقيدة والعمل والدعوة والسلوك والتعامل، فبين مادح له وقادح فيه، ومعجب به وطاعن فيه، ونسب كثير منهم هذا المنهج إلى التطرف والعنف وعدم التسامح، بل وصفه بعضهم بأنه مصدر الإرهاب والتكفير، وانتشرت في أوساط المجتمع التصورات الخاطئة والأفكار السلبية نحو السلفي، وأما في أوساط المتعلمين والأكاديميين في الجامعات فالكثير منهم لا يعرفون حقيقة الأصول العلمية والقواعد المقررة لهذا المنهج في مجال العلم والبحث، وذلك لما ساد على المقررات الدراسية ومناهج البحوث العلمية طريقة عقلية علمانية لبرالية فلسفية تعتمد على تقديس العقل وتقديمه على النقل، لذا فلا قداسة للنقل عند الكثير منهم إلا من رحمه الله، وصار التصور لدى الكثير منهم أن المنهج السلفي إنما تمسك بظواهر النصوص دون الغوص في معانيها ومعرفة وجوه دلالاتها. لذا أردت المشاركة في بيان منهج السلف في العلم وتجليه أصوله وتوضيح قواعده من خلال دراسة تحليلية لكتاب "فضل علم السلف على الخلف" لابن رجب الحنبلي المتوفى سنة (٧٩٥هـ)، واخترت هذا الموضوع لسببين: أحدهما: مكانة الإمام ابن رجب الحنبلي في العلم، وهو أحد أئمة السنة في زمانه، المعروف بعلمه وزهده وورعه وعبادته، وصحة عقيدته وسلامة منهجه، والثاني: لأهمية الكتاب المذكور حيث تناول -مع صغر حجمه- أحد الأصول التي عليها أهل السنة والجماعة وهو اعتقاد فضل السلف على غيرهم في الأمور كلها ووجوب الاقتداء بهم، ومنها مسألة العلم.

ب. منهج البحث

هذا البحث يعد من البحوث المكتبية التي تقوم على المنهج الكيفي الاستقرائي في جمع مادته وعلى المنهج الاستنباطي التحليلي في صياغة مسائله وعرضها وتقريبها وفق المنهج العلمي المتبع في كتابة البحوث العلمية.

ج. المبحث

١. التعريف بمذهب السلف

المراد به هو ما كان عليه القرون الثلاثة المفضلة من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين في جميع أمور الدين، المعروفون بالسلف الصالح الذين زكاهم الله بقوله:

وَالسُّفُونَ الْأَوْلُونَ مِنَ الْمُهْجَرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ
جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ.^{٥٤٧}

والذين شهد لهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالخيرية في قوله: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُوتُهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ
يَلُوتُهُمْ»^{٥٤٨}

ومصطلح "مذهب السلف" يساوي مصطلح "منهج السلف"، ومن انتسب إلى هذا المنهج يقال له: سلفي.
قال أبو المظفر السمعاني رحمه الله: «السلفي -بفتح السين واللام وفي آخرها الفاء-، هذه النسبة إلى السلف
وانتحال مذهبهم على ما سمعت»^{٥٤٩}

وقال الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله: "والثابتون على منهاج النبوة نسبوا إلى سلفهم الصالح في ذلك فقيل لهم:
السلف والسلفيون، والنسبة إليهم "سلفي" ولفظ السلف هنا لا يعني "القديم"،... وعليه فإن لفظ (السلف) هنا يعني
"السلف الصالح" بدليل إن هذا اللفظ عند الإطلاق يعني كل سالك في الاقتداء للصحابة رضي الله عنهم، حتى ولو كان في
عصرنا"^{٥٥٠}.

وقد أكثر ابن رجب استعمال لفظ "السلف" في كتابه هذا، حيث بلغ وروده فيه -سوى صفحة العنوان- أكثر من
تسع وعشرين مرة، وهذا يدل على شهرة هذا اللفظ عند العلماء في كلامهم عن المسائل العلمية، وكان مراد ابن رجب بذلك
هم القرون الثلاثة المفضلة ومن سار على نهجهم من أئمة الدين -كما تقدم بيانه-.

٢. التعريف ابن رجب الحنبلي

هو الحافظ الفقيه المحدث المؤرخ الواعظ، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن بن محمد بن أبي البركات
مسعود السلامي الحنبلي البغدادي، ثم الدمشقي، أبو الفرج زين الدين، المعروف بابن رجب الحنبلي، ولد في بغداد سنة
(٧٣٦هـ) ونشأ وتوفي بدمشق سنة ٧٩٥هـ. سمع من جم غفير ورافق الحافظ زين الدين العراقي، ولازم الحافظ ابن قيم

^{٥٤٧} سورة التوبة (٩): ١٠٠.

^{٥٤٨} البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع المسند الصحيح، (بيروت: دار طوق النجاة، بدون السنة) رقم: ٢٧٥٢،

^{٥٤٩} السمعاني، عبد الكريم بن محمد، الأنساب (الهند- المجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٩٦٢) ج ٧، ص. ١٦٨.

^{٥٥٠} أبو زيد، بكر بن عبد الله، حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية (الرياض، ١٤١٠هـ) ص. ٣٦.

الجوزية، وقرأ القرآن بالروايات، وأكثر عن الشيوخ وخرج لنفسه مشيخة مفيدة^{٥٥١}. ومهر في فنون الحديث أسماء ورجالاً وعلاً وطرقاً واطلاعاً على معانيه، وصار أتقن أهل عصره بالعلل، وكان صاحب عبادة وتهجد^{٥٥٢}. وله مصنفات مفيدة ومؤلفات عديدة في مختلف العلوم منها: جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، وشرح علل الترمذي، والقواعد الفقهية، ولطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، وكلمة الإخلاص وتحقيقها، وذيل طبقات الحنابلة، وكلها مطبوعة، وغير ذلك^{٥٥٣}.

٣. التعريف بكتاب "فضل علم السلف على الخلف"

هذا الكتاب تضمن ثلاثة محاور رئيسية: معنى العلم وبيان النافع منه، وعلامات العلم النافع وغير النافع منه، وبيان فضل السلف الصالح وما يميزهم عن الخلف في العلم، وهذا ما أشار إليه ابن رجب في مقدمته: "فهذه كلمات مختصرة في معنى العلم، وانقسامه إلى علم نافع وعلم غير نافع، والتنبيه على فضل علم السلف على علم الخلف". والكتاب طبع بطبعات عديدة، ولكن الطبعة التي اعتمدت عليها في دراسة هذا الموضوع هي التي نشرتها مكتبة دار البيان بدمشق ومكتبة المؤيد بالرياض والتي حققها وخرج أحاديثها وعلق عليها بشير محمد عيون، وهي الطبعة الأولى في عام ١٤١٣هـ الموافق ١٩٩٢م.

٤. المنهج العلمي على ضوء مذهب السلف

كتاب "فضل علم السلف على الخلف" مع صغر حجمه واختصار كلماته إلا أنه حوى مسائل مهمة وموضوعات مفيدة في بيان معالم المنهج العلمي لدى السلف الصالح، من بيان أقسام العلم وحقيقته وأصله، وحقيقة العلماء، ومصدر تلقي العلم وطرق تحصيله وأبرز علامات العلم النافع، وكذلك بيان العلم غير النافع وبعض أمثله وعلاماته، مع الإشارة إلى العلوم المحدثة بعد زمان السلف الصالح وضرورة الحذر منها، وبيان فضل السلف وشرفهم في مجال العلم والعمل والحرص على نفع الناس، وغير ذلك من المسائل المهمة والموضوعات المنيفة، وفيما يلي تفصيل القول في ذلك:

^{٥٥١} ابن حجر، أحمد بن علي، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (الهند، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٩٧٢) ج. ٣، ص.

١٠٨-١٠٩.

^{٥٥٢} ابن حجر، أحمد بن علي، إنباء الغمر بأبناء العمر (مصر، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٦٩) ج. ١، ص. ٤٦٠-٤٦١.

^{٥٥٣} العثيمين، عبد الرحمن بن سليمان، مقدمة الجزء الأول من ذيل طبقات الحنابلة (الرياض، مكتبة العبيكان، ٢٠٠٥) ص. ٤٢-

(أ) أقسام العلم

العلم لدى السلف ينقسم إلى قسمين: (١) العلم النافع، (٢) والعلم غير النافع، وقد دلت النصوص الشرعية من الكتاب والسنة على ذلك، وهذا ما ذكره ابن رجب رحمه الله في قوله: «قد ذكر الله تعالى في كتابه العلم تارة في مقام المدح، وهو العلم النافع، وذكر العلم تارة في مقام الذم، وهو العلم الذي لا ينفع»^{٥٥٤}. وقال: «جاءت السنة بتقسيم العلم إلى نافع وغير نافع، والاستعاذة من العلم الذي لا ينفع، وسؤال العلم النافع»^{٥٥٥}.

ومن الأدلة على القسم الأول، وهو العلم النافع قوله تعالى: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ}^{٥٥٦}، وقوله: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ}^{٥٥٧}، وقوله: {وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا}^{٥٥٨} وقوله: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}^{٥٥٩} وغيرها من الآيات.

وذكر ابن رجب أن من العلم ما هو نافع في نفسه لكن صاحبه لا ينتفع به^{٥٦٠}، وهذا كقوله تعالى عن أهل الكتاب وغيرهم: {مَثَلُ الَّذِينَ خُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْجِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا}^{٥٦١}، وقال تعالى: {وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ}^{٥٦٢}، يأخذوه...^{٥٦٣}، فهؤلاء أوتوا علما نافعا من التوراة والآيات ولكن لم ينتفعوا بما فيها من الحق والهدى فصاروا أذل الناس وأضلهم وأغواهم.

^{٥٥٤} ابن رجب الحنبلي زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد، فضل علم السلف على الخلف، بدون السنة الفاروق الحديثة للطباعة والنشر الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م، ص. ٩.

^{٥٥٥} ابن رجب الحنبلي، فضل علم السلف على الخلف، ص. ١١.

^{٥٥٦} سورة الزمر (٣٩): ٩.

^{٥٥٧} سورة آل عمران (٣): ١٨.

^{٥٥٨} سورة طه (٢٠): ١١٤.

^{٥٥٩} سورة فاطر (٣٥): ٢٨.

^{٥٦٠} ابن رجب الحنبلي، فضل علم السلف على الخلف ص. ١٠.

^{٥٦١} سورة الجمعة (٦٢): ٥.

^{٥٦٢} سورة الأعراف (٧): ١٧٥-١٧٦.

^{٥٦٣} سورة الأعراف (٧): ١٦٩.

ومما يدل على التقسيم السابق من السنة:

قوله صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَسْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا»^{٥٦٤}

وقوله صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ»^{٥٦٥}

وقوله صلى الله عليه وسلم: «سَلُوا اللَّهَ عِلْمًا نَافِعًا، وَتَعَوَّدُوا بِاللَّهِ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ»^{٥٦٦} وغيره من الأحاديث.

وأما القسم الثاني: وهو العلم غير النافع الذي ذكره الله تعالى على جهة الذم له، كعلم السحر كما قال تعالى: {وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ}،^{٥٦٧} وكقوله تعالى: {فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ}.^{٥٦٨}

ب) مصدر العلم النافع

العلم النافع هو المتلقى عن الكتاب والسنة^{٥٦٩}، وما جاء عن الصحابة رضي الله عنهم. فقد نقل ابن رجب رحمه

الله عن بعض السلف وأئمة السنة ما يدل على هذا الأمر، منهم:

قال الإمام أبو سليمان الداراني (ت ٢١٢ هـ) رحمه الله: "إنه لتمر بي النكتة من نكت القوم فلا أقبلها إلا بشاهدين عدلين:

الكتاب والسنة"^{٥٧٠}

وقال الإمام الجنيد رحمه الله: "علّمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة، من لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به

في علمنا هذا."^{٥٧١}

^{٥٦٤} النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، بترقيم فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٥٥ م، ر. ٢٧٢٢.

^{٥٦٥} ابن حبان، محمد بن حبان البستي، التقاسيم والأنواع (صحيح ابن حبان)، بيروت، دار ابن حزم، ٢٠١٢ م، ر. ٦٧٤٤.

^{٥٦٦} أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني، سنن ابن ماجه، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م، ر.

٣٨٤٣.

^{٥٦٧} سورة البقرة (٢): ١٠٢.

^{٥٦٨} سورة غافر (٤٠): ٨٣.

^{٥٦٩} ابن رجب الحنبلي فضل علم السلف على الخلف (ص. ٣٧).

^{٥٧٠} ابن رجب الحنبلي فضل علم السلف على الخلف (ص. ٣١). العلائي، صلاح الدين خليل بن كيكليدي الدمشقي، إ، ثارة الفوائد

المجموعة في الإشارة إلى الفوائد المسموعة (المدينة، مكتبة العلوم والحكم، ٢٠٠٤) ج ١، ص. ٣٧٥.

^{٥٧١} ابن رجب الحنبلي فضل علم السلف على الخلف، ص. ٣١. و القشيري، عبد الكريم بن هوازن، الرسالة القشيرية (القاهرة، دار

المعارف) (٧٩/١).

ونقل ابن رجب كذلك عن الإمام الأوزاعي قوله: "العِلْمُ ما جاء به أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، فما كان غير ذلك فليس بعلم."^{٥٧٢} وكذا قال الإمام أحمد، وقال: "في التابعين مخيّر"^{٥٧٣}، يعني: مخير في كتابته وتركه.^{٥٧٤}

وقد كان الزهري يكتب ذلك، وخالفه صالح بن كيسان ثم ندم على تركه كلام التابعين، وفي زماننا يتعين كتابة كلام أئمة السلف المقتدى بهم إلى زمن الشافعي وأحمد وإسحاق وأبي عبيد، وليكن الإنسان على حذر مما حدث بعدهم، فإنّه حدث بعدهم حوادث كثيرة، هكذا قال ابن رجب المتوفى (٧٩٥هـ) رحمه الله.^{٥٧٥}

ولذلك يجب تلقي العلم من مصدره الصحيح وما أثر عن السلف الصالح والأئمة بعدهم، "وفي كلامهم كفاية وزيادة، فلا يوجد في كلام من بعدهم من حق إلا وهو في كلامهم موجود بأوجز لفظ وأخصر عبارة، ولا يوجد في كلام من بعدهم من باطل إلا وفي كلامهم ما يبين بطلانه لمن فهمه وتأمّله، ويوجد في كلامهم من المعاني البديعة والمآخذ الدقيقة ما يهتدى إليه من بعدهم ولا يلم به، فمن لم يأخذ العِلْم من كلامهم فاته ذلك الخير كله مع ما يقع في كثير من الباطل متابعة لمن تأخر عنهم."^{٥٧٦}

ج) حقيقة العلم النافع

بناء على ما تقدم بيانه فإن حقيقة العلم النافع هو ضبط نصوص الكتاب والسنة والعناية بما أثر عن السلف الصالح والأئمة في معاني القرآن والحديث وأحكام الدين، كما بين هذا ابن رجب رحمه الله بقوله: "فالعلم النافع من هذه العلوم كلها ضبط نصوص الكتاب والسنة وفهم معانيها، والتقيّد في ذلك بالمأثور عن الصحابة والتابعين وتابعيهم في معاني القرآن والحديث، وفيما ورد عنهم من الكلام في مسائل الحلال والحرام والزهد والرفائق والمعارف وغير ذلك."^{٥٧٧}

^{٥٧٢} ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، جامع بيان العلم وفضله (السعودية، دار ابن الجوزي، ١٩٩٤م) (٧٦٩/١) (رقم: ١٤٢١).

^{٥٧٣} يعني قوله رحمه: "الإِتِّبَاعُ: أَنْ يَتَّبِعَ الرَّجُلُ مَا جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَنْ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ هُوَ مِنْ بَعْدُ فِي التَّابِعِينَ مُخَيَّرٌ"

أبو داود، سليمان بن الأشعث، مسائل الإمام أحمد رواية أبي داود السجستاني (مصر، مكتبة ابن تيمية، ١٩٩٩) (ص ٣٦٨).

^{٥٧٤} ابن رجب الحنبلي فضل علم السلف على الخلف، ص ٣٠.

^{٥٧٥} ابن رجب الحنبلي فضل علم السلف على الخلف، ص ٣٠.

^{٥٧٦} ابن رجب الحنبلي فضل علم السلف على الخلف، ص ٣٠.

^{٥٧٧} ابن رجب الحنبلي فضل علم السلف على الخلف، ص ٣٢.

لذا فإن أفضل العلوم في تفسير القرآن ومعاني الحديث، والكلام في الحلال والحرام ما كان مأثوراً عن الصحابة والتابعين وتابعيهم إلى أن ينتهي إلى زمن أئمة الإسلام المشهورين المقتدى بهم، كمالك والشافعي وأحمد وغيرهم. فضبط ما روي عنهم في ذلك أفضل العلم مع تفهمه وتعقله والتفقه فيه.^{٥٧٨}

د) أصل العلم النافع هو العلم بالله وبأحكامه

المقصود بالعلم بالله هو معرفته وما يستحقه من الأسماء الحسنى والصفات العلى والأفعال الباهرة، وذلك يستلزم إجلاله وإعظامه وخشيته، ومهابته ومحبته ورجاءه والتوكل عليه، والرضا بقضائه والصبر على بلائه. والمقصود بالعلم بأحكام الله هو المعرفة بما يحبه ويرضاه وما يكرهه ويسخطه من الاعتقادات والأعمال الظاهرة والباطنة والأقوال. فيوجب ذلك لمن علمه المسارعة إلى ما فيه محبة الله ورضاه والتباعد عما يكرهه ويسخطه. وهذه ثمرة العلم النافع.^{٥٧٩}

فهذا هو أصل العلم، كما قال ابن رجب رحمه الله: "فأصل العلم بالله الذي يوجب خشيته، ومحبته والقرب منه والأنس به والشوق إليه، ثم يتلوه العلم بأحكام الله، وما يحبه ويرضاه من العبد من قول أو عمل أو حال أو اعتقاد. فمن تحقق بهذين العلمين كان علمه علماً نافعاً، وحصل له العلم النافع والقلب الخاشع والنفوس القانعة والدعاء المسموع."^{٥٨٠}

هـ) أقسام العلماء وحققتهم

نقل ابن رجب عن بعض السلف قولهم: "العلماء ثلاثة: عالم بالله عالم بأمر الله، وعالم بالله ليس بعالم بأمره، وعالم بأمر الله ليس بعالم بالله."^{٥٨١} ثم علق عليه رحمه الله فقال: "وأكملهم الأول، وهو الذي يخشى الله ويعرف أحكامه، فالشأن كله في أن العبد يستدل بالعلم على ربه فيعرفه؛ فإذا عرفه ربه فقد وجد منه قريباً، ومتى وجد منه قريباً فإنه قريباً من ربه، وأجاب دعاءه."^{٥٨٢}

^{٥٧٨} ابن رجب الحنبلي فضل علم السلف على الخلف، ص ٢٩-٣٠.

^{٥٧٩} ابن رجب الحنبلي فضل علم السلف على الخلف، ص ٣٣.

^{٥٨٠} ابن رجب الحنبلي فضل علم السلف على الخلف، ص ٣٦.

^{٥٨١} القائل هو أبو حيان التميمي، ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، جامع بيان العلم وفضله، السعودية، دار ابن الجوزي،

١٩٩٤م، ج ٢، ص ٨٢٢.

^{٥٨٢} ابن رجب الحنبلي فضل علم السلف على الخلف، ص ٣٦.

فهذا هو العالم الرباني الحقيقي الذي يورث علمه خشية الله وتعظيمه والذل له، كما قال تعالى: (إنما يخشى الله من عباده العلماء).^{٥٨٣} ولهذا قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "كفى بخشية الله علما، وكفى بالاغترار بالله جهلا"^{٥٨٤}.

وقال أيضا: "ليس العلم بكثرة الرواية، ولكن العلم الخشية."^{٥٨٥}

وقال بعضهم: "من خشي الله فهو عالم، ومن عصاه فهو جاهل."^{٥٨٦}

(و) معيار العلم: موافقة الحق وليس بكثرة الكلام

إن لمنهج السلف معيارا خاصا في معرفة العلم وأهله وأهم أكثر علما، وذلك بموافقة الصواب والحق ولو بعبارة وجيزة وليس بكثرة القول وتشقيق الكلام والقدرة على بسطه والجدال.

وفي هذا يقول ابن رجب رحمه الله: "ففي كلام السلف والأئمة كمالك والشافعي وأحمد وإسحاق التنبيه على ما أخذ الفقه، ومدارك الأحكام بكلام وجيز مختصر يفهم به المقصود من غير إطالة ولا إسهاب. وفي كلامهم من رد الأقوال المخالفة للسنة بألطف إشارة وأحسن عبارة، بحيث يغني ذلك من فهمه عن إطالة المتكلمين في ذلك بعدهم، بل ربما لم يتضمن تطويل كلام من بعدهم من الصواب في ذلك ما تضمنه كلام السلف والأئمة مع اختصاره وإيجازه. فما سكت من سكت عن كثرة الخصام والجدال من سلف الأمة جهلاً ولا عجزاً، ولكن سكتوا عن علم وخشية لله. وما تكلم من تكلم وتوسع من توسع بعدهم باختصاصه بعلم دونهم، ولكن حباً للكلام وقلة ورع."^{٥٨٧}

وقال رحمه الله أيضا: "ومن ظن أن من كثر كلامه وجداله وخصامه في مسائل الدين فهو أعلم ممن ليس كذلك،

وهذا جهل محض."^{٥٨٨}

^{٥٨٣} سورة فاطر (٣٥): ٢٨.

^{٥٨٤} ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، جامع بيان العلم وفضله، السعودية، دار ابن الجوزي، ١٩٩٤م. ج ٢، ص ٨١١.

^{٥٨٥} ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله ج ١، ص ٧٥٨.

^{٥٨٦} ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ج ٢، ص ٨٢٢. ابن رجب الحنبلي فضل علم السلف على الخلف، ص ٣٢.

^{٥٨٧} ابن رجب الحنبلي فضل علم السلف على الخلف، ص ٢٥.

^{٥٨٨} ابن رجب الحنبلي فضل علم السلف على الخلف، ص ٢٦.

وبين رحمه الله بطلان هذا الظن الفاسد من وجوه عدة،^{٥٨٩} منها:

أولاً: كون النبي صلى الله عليه وسلم أوتي جوامع الكلم واختصر له الكلام اختصاراً، وهو بلا شك أعلم الناس على الإطلاق -صلى الله عليه وسلم-.

ثانياً: ورود النهي عن كثرة الكلام والتوسع في القيل والقال، يشير رحمه الله إلى حديث: (إن الله كره لكم ثلاثاً: قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال).^{٥٩٠}

ثالثاً: أن كثرة القول وتشقيق الكلام مذموم، وقد كانت خطب النبي صلى الله عليه وسلم قصداً، وكان يحدث حديثاً لو عدّه العادُّ لأحصاه، وقال: "إن من البيان لسحراً"،^{٥٩١} وإنما قاله في ذلك، لا مدحا له كما ظن ذلك من ظنه، ومن تأمل سياق ألفاظ الحديث قطع بذلك.

رابعاً: أن أكابر الصحابة وعلمائهم كأبي بكر، وعمر، وعلي، ومعاذ، وابن مسعود، وزيد بن ثابت رضي الله عنهم، كلامهم أقل من كلام ابن عباس وهم أعلم منه.

خامساً: وكلام التابعين أكثر من كلام الصحابة، والصحابة أعلم منهم. وكذلك تابعوا التابعين كلامهم أكثر من كلام التابعين، والتابعون أعلم منهم.

سادساً: ليس العِلْمُ بكثرة الرواية ولا بكثرة المقال، ولكنه نور يقذف في القلب يَفْهَمُ به العبدُ الحق، ويميز به بينه وبين الباطل، ويعبر عن ذلك بعبارات وجيزة محصلة للمقاصد.

وبناء على ما سبق فإنه "يجب أن يعتقد أنه ليس كل من كثر بسطه للقول وكلامه في العِلْمِ، كان أعلم ممن ليس كذلك".^{٥٩٢}

^{٥٨٩} ابن رجب الحنبلي فضل علم السلف على الخلف، ص. ٢٦-٢٨.

^{٥٩٠} البخاري، صحيح البخاري، ر. ١٣٤٤.

^{٥٩١} البخاري، صحيح البخاري، ر. ٥٧٦٧.

^{٥٩٢} ابن رجب الحنبلي، فضل علم السلف على الخلف، ص. ٢٨.

ز) تعظيم السلف الصالح والافتداء بهم في العلم

إن المنهج العلمي السلفي قائم على تعظيم السلف الصالح وعلى رأسهم الصحابة -رضي الله عنهم- والافتداء بهم، لأنهم خير هذه الأمة، وهم كما وصفهم عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً"،^{٥٩٣} وفي هذه إشارة إلى إن من بعدهم أقل علوماً وأكثر تكلفات.^{٥٩٤} ومما يدل على أن السلف الصالح أكثر علماً ممن بعدهم قول ابن مسعود رضي الله عنه أيضاً: "إنكم في زمان كثير علماؤه قليل خطباؤه، وسيأتي بعدكم زمان قليل علماؤه كثير خطباؤه"،^{٥٩٥} فمن كثرة علمه وقل قوله فهو الممدوح، ومن كان بالعكس فهو مذموم.

ومما يدل أيضاً على فضل الصحابة في العلم مع قلة كلامهم شهادة النبي -صلى الله عليه وسلم- لأهل اليمن بالإيمان والفقهاء^{٥٩٦}، وأهل اليمن أقل الناس كلاماً وتوسعاً في العلوم، لكن علمهم علم نافع في قلوبهم، ويعبرون بألسنتهم عن القدر المحتاج إليه من ذلك، وهذا هو الفقه والعلم النافع.^{٥٩٧}

فمن اعتقد أن من توسع في القول من المتأخرين أنه أعلم ممن تقدم، ويظن في شخص أنه أعلم من كل من الصحابة ومن بعدهم لكثرة بيانه ومقاله، فذلك لفرط جهله بفضل السلف الصالح مكانتهم في الدين، وهو في نفس الوقت تنقص عظيم بالسلف، وإساءة ظن بهم، ونسبته لهم إلى الجهل وقصور العلم،^{٥٩٨} لذا فإن من علامات العلم النافع فإن أهله يسيئون الظن بأنفسهم، ويحسنون الظن بمن سلف من العلماء، ويقرون بقلوبهم وأنفسهم بفضل من سلف عليهم ويعجزهم عن بلوغ مراتبهم والوصول إليها أو مقاربتها. وما أحسن قول أبي حنيفة وقد سئل عن علقمة والأسود: أيهما أفضل؟ فقال: والله ما نحن بأهل أن نذكرهم، فكيف نفضل بينهم؟^{٥٩٩}

^{٥٩٣} ابن عبد البر، يوسف بن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، السعودية، دار ابن الجوزي، ١٩٩٤، ج ٢، ص ٩٤٦-٩٤٧.

^{٥٩٤} ابن رجب الحنبلي، فضل علم السلف على الخلف، ص ٢٩.

^{٥٩٥} الصنعاني، عبد الرزاق بن همام، المصنف، الهند، المجلس العلمي، ١٩٨٣، ج ٢، ص ٣٨٢.

^{٥٩٦} يعني قول النبي صلى الله عليه وسلم: «أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ هُمْ أَرْقُ أَفْئِدَةً وَأَلْبَنُ قُلُوبًا، الْإِيمَانُ يَمَانٍ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ» صحيح البخاري ر. ٣٣٠١.

^{٥٩٧} ابن رجب الحنبلي، فضل علم السلف على الخلف، ص ٢٩.

^{٥٩٨} ابن رجب الحنبلي، فضل علم السلف على الخلف، ص ٢٨-٢٩.

^{٥٩٩} ابن رجب الحنبلي، فضل علم السلف على الخلف، ص ٣٩-٤٠.

قال ابن رجب رحمه الله: "فمن عرف قدر السلف عرف أن سكوتهم عما سكتوا عنه من ضروب الكلام وكثرة الجدل والخصام، والزيادة في البيان على مقدار الحاجة لم يكن عيباً ولا جهلاً ولا قصوراً، وإنما كان ورعاً وخشية لله واشتغالاً عما لا ينفع بما ينفع. وسواء في ذلك كلامهم في أصول الدين وفروعه، وفي تفسير القرآن والحديث، وفي الزهد والرقائق والحكم والمواعظ، وغير ذلك مما تكلموا فيه. فمن سلك سبيلهم فقد اهتدى، ومن سلك غير سبيلهم ودخل في كثرة السؤال والبحث والجدال والقييل والقال؛ فإن اعترف لهم بالفضل وعلى نفسه بالنقص كان حاله قريباً. وإن ادعى لنفسه الفضل ولمن سبقه النقص والجهل، فقد ضل ضلالاً مبيئاً وخسر خسراناً عظيماً.^{٦٠٠}

ح) المنهج العلمي عند السلف يقوم على العلم والعمل

العلم يطلب ليس لأجل جمع المعلومات ولا معرفة النظريات فحسب، بل يطلب للعمل به، فإن العلم يقتضي العمل، والعمل ثمرة، هتف العلم بالعمل وإن أجابه وإلا ارتحل، هكذا قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه.^{٦٠١} وهذا هو المنهج القرآني واليهدي الإلهي، حيث ذكر الله تعالى صفات الذين أنعم الله عليهم، وهم الذين جمعوا بين العلم والعمل، ونهانا عن سلوك سبيل المغضوب عليهم الذين علموا الحق ولم يعملوا به، وهم اليهود ومن شابههم من العلماء، وعن سلوك سبيل الضالين الذين يعملون بدون العلم، وهم النصارى ومن شابههم من العباد، كما قال تعالى في سورة الفاتحة: (اهدنا الصراط المستقيم* صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين).^{٦٠٢}

وقد أشار ابن رجب رحمه الله إلى هذا^{٦٠٣}، فقد نقل عن بعض السلف قولهم: "إذا أراد الله بعبده خيراً فتح له باب العمل، وأغلق عنه باب الجدل، وإذا أراد الله بعبده شراً أغلق عنه باب العمل، وفتح له باب الجدل".^{٦٠٤} ويفيد هذا أن العلم يطلب للعمل وليس للجدل والمرء، فإن ثمرة العلم هو العمل، وترك العمل بالعلم من أعظم أسباب قسوة القلب، لذا ذكر ابن رجب رحمه الله في معرض كلامه عن سبب قسوة قلوب أهل الكتاب (اليهود)، بعد إتيانهم

^{٦٠٠} ابن رجب الحنبلي، فضل علم السلف على الخلف، ص. ٤١-٤٢.

^{٦٠١} الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، اقتضاء العلم والعمل، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٣٩٧هـ، ص. ٣٥.

^{٦٠٢} سورة الفاتحة (١): ٦-٧.

^{٦٠٣} ابن رجب الحنبلي، فضل علم السلف على الخلف، ص. ٢٣.

^{٦٠٤} القائل هو الإمام معروف الكرخي. الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، اقتضاء العلم والعمل، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٣٩٧،

الكتاب ومشاهدة الآيات، وذلك لنسيانهم وتركهم حفاً مما ذكروا به، فخالفوا أمر الله وارتكبوا نهييه، فحرفوا الكلم عن مواضعه، فهذان الأمران موجودان في الدين فسدوا من علمائنا لمشابهتهم لأهل الكتاب، فإن من تفقه لغير العمل يقسو قلبه فلا يشتغل بالعمل؛ بل بتحريف الكلم وصرف ألفاظ الكتاب والسنة عن مواضعها والتلطف في ذلك بأنواع الحيل اللطيفة من حملها على مجازات اللغة المستبعدة ونحو ذلك. والطعن في ألفاظ السنن..^{٦٠٥}.

وهذا بلا شك على خلاف طريقة السلف الصالح في تعلم العلم حيث كانوا يطلبون العلم للعمل فجمعوا بين العلم والعمل معاً، كما قال أبو عبد الرحمن السلمي رحمه الله: "حدثنا الذين كانوا يُقرئونا القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل"، قالوا: "فتعلمنا القرآن، والعلم، والعمل جميعاً".^{٦٠٦}

ط) المنهج العلمي عند السلف قائم على ضبط النص وفهمه

وقد بلغ الرسول صلى الله عليه وسلم الوحي بلاغاً مبيناً، وهذا التبليغ يشمل اللفظ والمعنى، فاجتهد الصحابة رضوان الله عليهم في تلقي ذلك عنه صلى الله عليه وسلم غزباً طرياً، فضبطوا الألفاظ وفهموا المعاني، ولم يكونوا يحفظون النصوص دون الفهم للمعاني مثل الأميين، وكذلك لم يتكلموا في المعاني دون الدليل الشرعي، بل جمعوا بين ضبط المبنى وفهم المعنى، وهكذا من يأتي بعدهم من التابعين وأئمة الدين، فإن الفهم والحفظ داخلان في مراتب العلم الست.^{٦٠٧}

وقد أشار ابن رجب رحمه الله إلى هذا الأصل في بعض كلماته المسددة، منها:

قال رحمه الله تعالى في معرض كلامه عن حقيقة العلم النافع: "فالعلم النافع من هذه العلوم ضبط نصوص الكتاب والسنة وفهم معانيها". وقال: "ثم الاجتهاد على الوقوف على معانيه وتفقهه".^{٦٠٨}

وقال في معرض كلامه عن أفضل العلوم: "فضبط ما روي عنهم في ذلك أفضل العلوم مع تفهمه وتعقله والتفقه

فيه".^{٦٠٩}

^{٦٠٥} الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، اقتضاء العلم بالعمل، ص. ٤٥.

^{٦٠٦} القرطبي، محمد بن وضاح، البدع والنبي عنها (القاهرة، مكتبة ابن تيمية، ١٤١٦) (ص ١٧٦).

^{٦٠٧} وهي: (١) حسن السؤال، (٢) وحسن الاستماع، (٣) وحسن الفهم، (٤) والحفظ، (٥) والتعليم (٦) ثم العمل به. ابن القيم، محمد بن أبي بكر، مفتاح دار السعادة ومنتشور ولاية العلم والإرادة (الرياض، دار عطاءات العلم، ٢٠١٩) ١/١٩٦.

^{٦٠٨} ابن رجب الحنبلي، فضل علم السلف على الخلف، ص. ٣٢.

^{٦٠٩} ابن رجب الحنبلي، فضل علم السلف على الخلف، ص. ٢٩.

فهذا يدل على أن العلم الصحيح هو الذي يجمع بين حفظ الدليل، وهو المراد بضبط النصوص، ثم يجتهد الإنسان في فهم معانيها وتفهمها فهما سليما.

وقال رحمه الله في بيان فضل علم السلف: "ويوجد في كلامهم من المعاني البديعة والمآخذ الدقيقة ما لا يهتدي إليه من بعدهم ولا يلم به."^{٦١٠}

فلا يمكن أن يكون الكلام متضمنا للمعاني البديعة والمآخذ الدقيقة للأحكام إلا إذا فهمت النصوص الشرعية فهما صحيحا بناء على معرفة أوجه دلالاتها ولوازمها وما اشتملت عليه من المعاني الطيبة والفوائد المنيفة، ويكون ما ينتج من ذلك أفضل العلوم وأنفعها، حيث جمعت بين نصّ صحيح وفهم صريح، والله أعلم.

(ي) طرق تحصيل العلم النافع وأسبابه وآلياته

تقدم أن العلم النافع هو ضبط نصوص الكتاب والسنة وفهم معانيهما والتقيد بالمأثور عن السلف الصالح في معانيهما ومسائل الحلال والحرام، وقد أشار ابن رجب إلى طرق ضبط هذا العلم وأسباب نيله وما ينبغي أن يكون لدى طالب العلم من علوم الآلة التي تسهل له الوصول إلى بغيته.

قال ابن رجب رحمه الله في معرض كلامه عن أهمية ضبط علم الكتاب والسنة والمأثور عن السلف: "...والاجتهاد على تمييز صحيحه من سقيمه أولا، ثم الاجتهاد على الوقوف على معانيه وتفقهها ثانيا، وفي ذلك كفاية لمن عقل، وشغل لمن بالعلم النافع عنى واشتغل. ومن وقف على هذا، وأخلص القصد فيه لوجه الله عز وجل، واستعان عليه، أعانه وهداه ووقفه وسدده وفهمه وأهمه، وحينئذ يثمر له هذا العلم ثمرته الخاصة به وهي خشية الله."^{٦١١}

وقال رحمه الله أيضا: "ويحتاج من أراد جمع كلامهم إلى معرفة صحيحه من سقيمه، وذلك بمعرفة الجرح والتعديل والعلل، فمن لم يعرف ذلك فهو غير واثق بما ينقله من ذلك ويلتبس عليه حقه بباطله، ولا يثق بما عنده من ذلك. كما يرى من قل علمه بذلك لا يثق بما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم عن السلف لجهله بصحيحه من سقيمه، فهو لجهله يجور أن يكون كله باطلا لعدم معرفته بما يعرف به صحيح ذلك وسقيمه."^{٦١٢}

^{٦١٠} ابن رجب الحنبلي، فضل علم السلف على الخلف، ص. ٢٩-٣٠.

^{٦١١} ابن رجب الحنبلي، فضل علم السلف على الخلف، ص. ٣٢.

^{٦١٢} ابن رجب الحنبلي، فضل علم السلف على الخلف، ص. ٣٠.

ويستفاد من النقل السابق أن الطريقة الصحيحة لضبط علوم الكتاب والسنة والمأثور عن السلف الصالح والأسباب لنيل ذلك، تتلخص فيما يلي:

- ١- الإخلاص لله تعالى في طلب العلم.
- ٢- الاستعانة بالله على ذلك.
- ٣- الحرص والاجتهاد على تمييز الروايات لمعرفة صحيحها من سقيمها.
- ٤- وكذلك الاجتهاد على معرفة معاني النصوص الشرعية وتفقهها.
- ٥- أن يكون لدى الشخص معرفة بعلم الجرح والتعديل والعلل.

ك) من العلوم ما يطلب للحاجة ويذم التوسع فيه

مما نبه عليه السلف الصالح والأئمة أن من العلوم ما يطلب للحاجة وليس لحد ذاته، وأن التوسع في ذلك إضاعة للوقت وترك ما هو الأهم، وهو فهم الكتاب والسنة ومعرفة الأحكام الشرعية، وقد ذكر ابن رجب رحمه الله بعض الأمثلة لذلك، منها:

- ١- علم الأنساب، يتعلم منه ما توصل به الأرحام كما جاء الأمر بذلك في الحديث.^{٦١٣}
- ٢- علم النجوم، وهو قسمان: علم التأثير، وهذا باطل محرم، والثاني: علم التسيير، وهذا الذي يجوز تعلمه للاهتداء ومعرفة القبلة والطريق، وما زاد عليه فلا حاجة إليه، وهو يشغل عما هو أهم منه.^{٦١٤}
- ٣- علم العربية لغة ونحوها، فإن التوسع فيه مما يشغل عن العلم الأهم، والوقوف معه يحرم علما نافعا. والعربية في الكلام كالمخ في الطعام،^{٦١٥} يعنى أنه يؤخذ منها ما يصلح الكلام كما يؤخذ من الملح ما يصلح الطعام، وما زاد على ذلك فإنه يفسده.^{٦١٦}

^{٦١٣} ابن رجب الحنبلي، فضل علم السلف على الخلف، ص. ١٥ و ١٨.

^{٦١٤} ابن رجب الحنبلي، فضل علم السلف على الخلف، ص. ١٥-١٧.

^{٦١٥} ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، السعودية، دار ابن الجوزي، ١٩٩٣، ج ٢، ص. ١١٣٣.

^{٦١٦} ابن رجب الحنبلي، فضل علم السلف على الخلف، ص. ١٨.

٤- علم الحساب، يحتاج منه إلى ما يعرف به حساب ما ينتفع من قسمة الفرائض والوصايا والأموال، والزائد على

ذلك مما لا ينتفع به إلا في مجرد رياضة الأذهان وصقالها لا حاجة إليه ويشغل عما هو أهم منه.^{٦١٧}

ل) الحذر من العلوم المحدثه بعد السلف الصالح والأئمة

من معالم المنهج السلفي الحذر من جميع محدثات الأمور في الدين، ومنها في المسائل العلمية، فقد تبين فيما سبق حقيقة العلم النافع ومصدره، فمن أراد الحق والسلامة فليلزم هذا الأمر، وفيه خير وكفاية وزيادة، وليحذر مما أحدث بعد القرون الثلاثة المفضلة والأئمة، فإن الخير في اتباع من سلف والشر في ابتداء من خلف.

وفي هذا يقول ابن رجب رحمه الله: "وليكن الإنسان على حذر مما حدث بعدهم -يعني: السلف الصالح-، فإنه حدث بعدهم حوادث كثيرة، وحدث من انتسب إلى متابعة السنة والحديث من الظاهرية ونحوهم وهو أشد مخالفة لها لشذوذه عن الأمة وانفراده عنهم بفهم يفهمه، أو يأخذ ما لم يأخذ به الأئمة من قبله.^{٦١٨}"

وقال رحمه الله أيضاً: "وما حدث بعدهم من التوسع لا خير في كثير منه، إلا أن يكون شرحاً لكلام يتعلق من كلامهم. وأما ما كان مخالفاً لكلامهم فأكثره باطل أو لا منفعة فيه، وفي كلامهم في ذلك كفاية وزيادة، فلا يوجد في كلام من بعدهم من حق إلا وهو في كلامهم موجود بأوجز لفظ وأخصر عبارة، ولا يوجد في كلام من بعدهم من باطل إلا وفي كلامهم ما يبين بطلانه لمن فهمه وتأمله. ويوجد في كلامهم من المعاني البديعة والمأخذ الدقيقة ما لا يهتدي إليه من بعدهم ولا يلم به. فمن لم يأخذ العلم من كلامهم فاتته ذلك الخير كله مع ما يقع في كثير من الباطل متابعه لمن تأخر عنهم.^{٦١٩}"

وقال رحمه الله أيضاً: "وأما ما أحدث بعد الصحابة من العلوم التي توسع فيها أهلها وسموها علومًا، وظنوا أن من لم يكن عالماً بها فهو جاهل أو ضال، فكلها بدعة. وهي من محدثات الأمور المنهي عنها."^{٦٢٠}

ومما أحدث بعد السلف الصالح من العلوم: علم الكلام المبني على تقديس العقل وتقديمه على النقل، المأخوذ من النظريات الفلسفية التي تؤدي إلى الانحراف في التفكير والضلال في الاعتقادات والجدال والخصومات، وهو كما يقول ابن رجب رحمه الله: "فأما الدخول مع ذلك في كلام المتكلمين أو الفلاسفة فشر محض، وقلّ من دخل في شيء من ذلك إلا

^{٦١٧} ابن رجب الحنبلي، فضل علم السلف على الخلف، ص. ١٩.

^{٦١٨} ابن رجب الحنبلي، فضل علم السلف على الخلف، ص. ٣٠-٣١.

^{٦١٩} ابن رجب الحنبلي، فضل علم السلف على الخلف، ص. ٢٩-٣٠.

^{٦٢٠} ابن رجب الحنبلي، فضل علم السلف على الخلف، ص. ١٩-٢٠.

وتلطف ببعض أوضارهم. كما قال أحمد: "لا يخلو من نظر في الكلام إلا تجهم."^{٦٢١} وكان هو وغيره من أئمة السلف يُحذِّرون من أهل الكلام وإن ذبوا عن السُّنة.^{٦٢٢} ومما أحدث من العلوم:

١- ما أحدثته المعتزلة من الكلام في القدر وضرب الأمثال لله، مع أنه قد ورد النهي عن الخوض في القدر بشتى صورته.^{٦٢٣}

٢- ومما أحدثته المعتزلة الكلام في ذات الله -تعالى- وصفاته بأدلة العقول وهو أشد خطراً من الكلام في القدر؛ لأنّ الكلام في القدر كلام في أفعاله، وهذا كلام في ذاته وصفاته.^{٦٢٤}

٣- ومن محدثات العلوم - ما أحدثه فقهاء أهل الرأي من ضوابط وقواعد عقلية ورد فروع الفقه إليها.^{٦٢٥}

٤- الجدل والخصام والمرء في مسائل الحلال والحرام، كما أحدثه فقهاء العراقيين في مسائل الخلاف بين الشافعية والحنفية، وصنفوا كتب الخلاف ووسعوا البحث والجدال فيها، وكل ذلك محدث لا أصل له، وصار ذلك علمهم، حتى شغلهم عن العلم النافع.^{٦٢٦}

٥- ومما أحدث من العلوم: الكلام في العلوم الباطنة من المعارف وأعمال القلوب وتوابع ذلك، بمجرد الرأي والذوق أو الكشف وفيه خطر عظيم، وقد أنكره أعيان الأئمة كالإمام أحمد وغيره.^{٦٢٧}

(م) علامات العلم النافع وغير النافع

للعلم النافع علامات يجب معرفتها، كما للعلم غير النافع أمارات ينبغي الحذر منها، وقد ذكر ابن رجب علامات

كثيرة للعلم النافع وغير النافع يمكن تلخيصها فيما يلي:

^{٦٢١} ابن بطة، عبيد الله بن محمد، الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، الرياض، دار الراجعية، ص. ٢، ص.

^{٦٢٢} ابن رجب الحنبلي، فضل علم السلف على الخلف، ص. ٣٠-٣١.

^{٦٢٣} ابن رجب الحنبلي، فضل علم السلف على الخلف، ص. ١٩.

^{٦٢٤} ابن رجب الحنبلي، فضل علم السلف على الخلف، ص. ٢١.

^{٦٢٥} ابن رجب الحنبلي، فضل علم السلف على الخلف، ص. ٢٢.

^{٦٢٦} ابن رجب الحنبلي، فضل علم السلف على الخلف، ص. ٢٤.

^{٦٢٧} ابن رجب الحنبلي، فضل علم السلف على الخلف، ص. ٣١.

أولاً: من علامات العلم النافع:

١. العلم النافع هو الذي يورث خشية الله وإجلاله وتعظيمه، والمسارة إلى ما فيه محبة الله ورضاه، والتباعد عما يكرهه ويسخطه.^{٦٢٨}
٢. العلم النافع ما عرف بين العبد وربّه، ودل عليه حتى عرف به ووحدّه، وأنس به، واستحى من قربه وعبدّه كأنه يراه.^{٦٢٩}
٣. أن أهل العلم النافع لا يرون لأنفسهم حالاً ولا مقاماً ويكرهون التزكية والمدح ولا يتكبرون على أحد.^{٦٣٠}
٤. العلم النافع يورث التواضع، وكلما ازداد أهله علماً ازدادوا لله تواضعاً وخشية وانكساراً وذلاً.^{٦٣١}
٥. العلم النافع يدل صاحبه على الهرب من الدنيا، وأعظمها الرياسة والشهرة والمدح.^{٦٣٢}
٦. صاحب العلم النافع لا يدعي العلم ولا يفخر به على أحد، ولا ينسب غيره إلى الجهل، إلا من خالف السنة وأهلها، فإنه يتكلم فيه غضباً لله لا غضباً لنفسه، ولا قصداً لرفعها على أحد.^{٦٣٣}
٧. صاحب العلم النافع يسيء الظن بنفسه ويحسن الظن بمن سلف من العلماء، ويقر بفضل من سلف عليهم، وعجزه عن بلوغ مراتبهم والوصول إليها أو مقاربتها.^{٦٣٤}

ثانياً: من علامات العلم غير النافع:

١. أن يكسب صاحبه الزهو والفخر والخيلاء، وطلب العلو والرفعة في الدُّنيا والمنافسة فيها، وطلب مباهاة العُلَماء وممارة السفهاء وصرف وجوه الناس إِلَيْهِ، ومن علامات ذلك إظهار دعوى الولاية.^{٦٣٥}

^{٦٢٨} ابن رجب الحنبلي، فضل علم السلف على الخلف، ص. ٣٢-٣٣.

^{٦٢٩} ابن رجب الحنبلي، فضل علم السلف على الخلف، ص. ٣٥.

^{٦٣٠} ابن رجب الحنبلي، فضل علم السلف على الخلف، ص. ٣٨.

^{٦٣١} ابن رجب الحنبلي، فضل علم السلف على الخلف، ص. ٣٨.

^{٦٣٢} ابن رجب الحنبلي، فضل علم السلف على الخلف، ص. ٣٩.

^{٦٣٣} ابن رجب الحنبلي، فضل علم السلف على الخلف، ص. ٣٩.

^{٦٣٤} ابن رجب الحنبلي، فضل علم السلف على الخلف، ص. ٣٩.

^{٦٣٥} ابن رجب الحنبلي، فضل علم السلف على الخلف، ص. ٣٧.

٢. عدم قبول الحق والانقياد له، والتكبر على من يقول الحق، خصوصا إن كان دونهم في أعين الناس والإصرار على الباطل خشية تفرق قلوب الناس عنهم.^{٦٣٦}
٣. التكبر بعلمه على الناس وإظهار فضل علمه عليهم، ونسبتهم إلى الجهل والغفلة والسهو، ليرتفع بذلك عليهم.^{٦٣٧}
٤. صاحب العلم غير النافع يحسن الظن بنفسه، ويسيء الظن بمن سلف من العلماء، بل ربما نسب من كان قبله من أهل العلم إلى الجهل والغفلة، وظن لنفسه عليهم فضلا في العلم أو الدرجة عند الله.^{٦٣٨}
٥. العلم غير النافع يورث قسوة القلب، لأن صاحبه يتفقه لغير العمل، فلا يشتغل بالعمل، بل بتحريف الكلم عن مواضعه، وصرف ألفاظ الكتاب والسنة عن مواضعها، والتلطف في ذلك بأنواع الحيل اللطيفة من حملها على مجازات اللغة المستبعدة ونحو ذلك، والطعن في ألفاظ السنن، ويذم من تمسك بالنصوص وأجراها على ما يفهم منها، ويسمونه جاهلا، كما هو شأن أهل الكلام والفلسفة.^{٦٣٩}

د – الخلاصة

يمكن تلخيص نتائج البحث في النقاط التالية:

١. إن لمذهب السلف منهجا علميا رصينا يقوم على أسس صحيحة ومعالم واضحة تميزه عن غيره من المناهج العلمية في دراسة العلوم الشرعية.
٢. انقسم العلم إلى العلم النافع وغير النافع، ولكل منهما علامات تميز أحدهما عن الآخر، ومن العلم ما كان نافعا في نفسه، ولكن صاحبه لا ينتفع به.
٣. ومن أظهر علامات العلم النافع: يورث الخشية لله تعالى، والتواضع، والهرب من الدنيا، وعدم التكبر والفخر، وطلب العلو على الناس، وإساءة الظن بالنفس وحسن الظن بما تقدم من العلماء من السلف الصالحين وأئمة الدين.

^{٦٣٦} ابن رجب الحنبلي، فضل علم السلف على الخلف، ص. ٣٨.

^{٦٣٧} ابن رجب الحنبلي، فضل علم السلف على الخلف، ص. ٣٩.

^{٦٣٨} ابن رجب الحنبلي، فضل علم السلف على الخلف، ص. ٣٩-٤٠.

^{٦٣٩} ابن رجب الحنبلي، فضل علم السلف على الخلف، ص. ٤٥.

٤. ومن أعظم علامات العلم غير النافع: عدم قبول الحق والتكبر، والترفع على الناس، ومحبة التزكية والمدح، والحرص على الدنيا بشقي أنواعها، وحسن الظن بالنفس وإساءة الظن بالسلف الصالح.
٥. من العلوم ما يطلب للحاجة ويذم التوسع فيه، لأنه يشغل عما هو أهم منه، مثل: علم الأنساب، وعلم التسيير، وعلم العربية وعلم الحساب.
٦. مصدر العلم عند منهج السلف هو الكتاب والسنة وما أثر عن الصحابة ومن تبعهم من أئمة الدين.
٧. وحقيقة العلم النافع هو ضبط نصوص الكتاب والسنة والمأثور عن السلف الصالح والاجتهاد في فهم ذلك وتفقيهه.
٨. أصل العلم النافع هو العلم بالله ومعرفته، والعلم بأحكامه المتعلقة بالاعتقادات والعبادات وغير ذلك.
٩. المعيار الصحيح لمعرفة العالم الحقيقي موافقة كلامه للحق وإصابة السنة، وليس بكثرة القول وتشقيق الكلام والقدرة على بسطه والجدال والخصومات.
١٠. المنهج العلمي السلفي قائم على العلم والعمل جميعاً دون التفريق بينهما.
١١. المنهج العلمي السلفي مبني على ضبط النص وفهمه دون الفصل بينهما.
١٢. المنهج العلمي الصحيح يقوم على تعظيم السلف الصالح والافتداء بهم في العلم والعمل.
١٣. من أنفع الطرق لتحصيل العلم النافع وأهم الأسباب لنيله: إخلاص النية لله، والاستعانة به تعالى، والحرص والاجتهاد على ضبط النصوص الشرعية وفهم معانيها، ويكون لدى الطالب إمام يعلم الجرح والتعديل ومعرفة بالعلل، ومن سلك هذا السبيل فحري بأن يوفق لتحقيق ما يصبو إليه.
١٤. وجوب الحذر من العلوم المحدثّة بعد القرون الثلاثة المفضلة، من علم الكلام والفلسفة وما يتفرع عنهما من العقائد الباطلة والأفكار المنحرفة في فهم الدين.

هـ- فهرس المصادر والمراجع

- أبو زيد، بكر بن عبد الله، حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية، الرياض، ١٤١٠هـ.
أبو داود، سليمان بن الأشعث، مسائل الإمام أحمد رواية أبي داود السجستاني، مصر، مكتبة ابن تيمية، ١٩٩٩م.

ابن بطة، عبید الله بن محمد، *الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة*، الرياض، دار الراجعية، بدون السنة.

ابن حجر، أحمد بن علي، *الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة*، الهند، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٩٧٢م.

ابن حجر، أحمد بن علي، *إنباء الغمر بأبناء العمر*، مصر، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٦٩م.

ابن حبان، محمد بن حبان البستي، *التقاسيم والأنواع* (صحيح ابن حبان)، بيروت، دار ابن حزم، ٢٠١٢م.

ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، *جامع بيان العلم وفضله*، السعودية، دار ابن الجوزي، ١٩٩٤م.

ابن القيم، محمد بن أبي بكر، *مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة*، الرياض، دار عطاءات العلم، ٢٠١٩م.

البخاري، محمد بن إسماعيل، *الجامع المسند الصحيح*، مصورة من الطبعة السلطانية، بيروت، دار طوق النجاح، بدون السنة.

الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، *اقتضاء العلم العمل*، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٣٩٧هـ.

السمعاني، عبد الكريم بن محمد، *الأنساب الهند- المجلس دائرة المعارف العثمانية*، ١٩٦٢م.

الصنعاني، عبد الرزاق بن همام، *المصنف*، الهند، المجلس العلمي، ١٩٨٣م.

العثيمين، عبد الرحمن بن سليمان، *مقدمة الجزء الأول من ذيل طبقات الحنابلة*، الرياض، مكتبة العبيكان، ٢٠٠٥م.

العلائي، خليل بن كيكليدي، *إثارة الفوائد المجموعة في الإشارة إلى الفرائد المسموعة*، المدينة، مكتبة العلوم والحكم، ٢٠٠٤م.

القرطبي، محمد بن وضاح، *البدع والنهي عنها*، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، ١٤١٦هـ.

القشيري، عبد الكريم بن هوازن، *الرسالة القشيرية*، القاهرة، دار المعارف، بدون السنة.

النيسابوري، مسلم بن الحجاج، *صحيح مسلم*، بترقيم فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٥٥م.